



# قبس من نور الصحابة والتابعين

د. محمود جيلاني



سعد بن معاذ – سيد الأوس



# المحتويات

- 3.....مقدمة
- 4.....إسلام سعد بن معاذ
- 8.....سعد بن معاذ يوم بدر
- 10.....سعد بن معاذ في حادثة الإفك
- 11.....سعد بن معاذ في غزوة الخندق
- 13.....إصابة سعد في غزوة الخندق
- 15.....خيانة بنو قريظة
- 16.....حكم سعد بن معاذ في بنى قريظة
- 19.....وفاة سعد
- 24.....سعد بعد وفاته
- 25.....كلمة أخيرة (قيمة الحياة)

سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ، السيد الكبير الشهيد، الذي اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِهِ  
رواه الشيخان، كان سيِّداً للأوس في يثرب قبل الهجرة النبوية وبعدها، أخی  
النبي ﷺ بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح، وقيل بينه وبين سعد  
بن أبي وقاص.

والحق أنه حين يقف المرء أمام سيرة سيدنا " سعد بن معاذ " يمتلكه  
العجب، وهو يحس أنه أمام شهاب من هذه الشهب الوضاعة في تاريخ  
الإسلام ٠٠٠ التي تلمع لفترة قصيرة ثم تختفي .. فهذا السيد الشهيد  
كان عمره حين مات.. سبعة وثلاثون عاما فقط!!.. عُمرٌ قصيرٌ كان  
حظ الإسلام منه «ست سنوات فقط!!» ، لكنها كانت سنوات مباركات،  
امتلأت تصديقا راسخا وأعمالا كبيرة، حتى فتحت له أبواب السماء  
واهتز لموته عرش الرحمن، وهذا هو المعنى التطبيقي للبركة في العمر.  
وفي الصفحات التالية.. سترى كيف يبارك الله في العمر القصير فيمتلأ  
بالفعال الكبار.



كان ممن سبق سعد بن معاذ إلى الإسلام ابنُ خالته أسعد بن زرارة الذي كان يصاحب مصعب بن عمير - سفير رسول الله ﷺ إلى المدينة - في تنقلاته داخل المدينة وهو يدعو إلى الإسلام. فدخل يوماً « بستانا » من بستاتين بني عبد الأشهل، فجلسا فيه، واجتمع إليهما رجال ممن أسلموا.

وكان سعد بن معاذ وأسيد بن حضير يومئذ سيدا قومهما من بني عبد الأشهل، وكلاهما لا يزال مشركا على دين قومه. فلما سمعا بما يفعله مصعب وأسعد بن زرارة من دعوة الناس إلى الإسلام، قال سعد لأسيد: انْطَلِقْ إِلَى هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ قَدْ أَتَيْتَا ديارَنَا لِيُسَقِّهَا ضُعَفَاءَنَا، فَارْجُرْهُمَا وَأَنْهَهُمَا عَنْ أَنْ يَأْتِيَا ديارَنَا، فَإِنَّهُ لَوْلَا أَنَّ أَسْعَدَ بْنَ زُرَّارَةَ مِنِّي حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُ كَفَيْتُكَ ذَلِكَ، هُوَ ابْنُ خَالَتِي، وَلَا أُجِدُّ عَلَيْهِ مُقَدِّمًا، قَالَ: فَأَخَذَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ حَرْبَتَهُ ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَيْهِمَا، فَلَمَّا رَأَهُ أَسْعَدُ ابْنَ زُرَّارَةَ، قَالَ لِمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ:

**هَذَا سَيِّدُ قَوْمِهِ قَدْ جَاءَكَ، فَاصْدُقِ اللَّهَ فِيهِ**

وهو درس عظيم قديم ، فالنجاح في الدعوة إلى الله مرجعه الأول هو الإخلاص لله قبل كل شيء، فَوَقَفَ عَلَيْهِمَا فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكُمْ إِلَيْنَا تُسَقِّهَانِ ضُعَفَاءَنَا؟ اعْتَرَلَانَا إِنْ كَانَتْ لَكُمْ بِأَنْفُسِكُمْ حَاجَةٌ (يهددهما

بالقتل)، فَقَالَ لَهُ مُضْعَبٌ: أَوْ تَجْلِسُ فَتَسْمَعُ، فَإِنْ رَضِيتَ أَمْرًا قَبْلَتَهُ،  
وَإِنْ كَرِهْتَهُ كُفَّ عَنْكَ مَا تَكْرَهُ؟

وكانى به يقول له إن كل ما نزيده منك أن تمنحنا الفرصة وتعطينا الحرية كى نبلغك ما لدينا من الحق... وأن تمنح نفسك الحرية في تمحيص الحقيقة واختبارها دون تعصب، ومن ثم اختر لنفسك ما تريد، ولا نتعرض لك إن كرهت.

### وكم من عوج وباطل في دنيانا لا يبقيه إلا غياب الحرية.

فقال أسيد: أَنْصَفْتُ، ثُمَّ رَكَزَ حَرْبَتَهُ وَجَلَسَ إِلَيْهِمَا، فَكَلَّمَهُ مُضْعَبٌ بِالْإِسْلَامِ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، فَقَالَ: فِيمَا يُذَكِّرُ عَنْهُمَا: وَاللَّهِ لَعَرَفْنَا فِي وَجْهِهِ الْإِسْلَامَ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي إِشْرَاقِهِ وَتَسَهُّلِهِ، ثُمَّ قَالَ: مَا أَحْسَنَ هَذَا الْكَلَامَ وَأَجْمَلَهُ! كَيْفَ تَصْنَعُونَ إِذَا أَرَدْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا فِي هَذَا الدِّينِ؟ قَالَا لَهُ: تَغْتَسِلُ فَتَطَهَّرُ وَتُطَهَّرُ ثَوْبَيْكَ (الإزار وهو ما يغطي الجزء السفلى من الجسد والرداء وهو ما يغطي الجزء العلوى)، ثُمَّ تَشْهَدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ، ثُمَّ تُصَلِّي. فَقَامَ فَاغْتَسَلَ وَطَهَّرَ ثَوْبَيْهِ، وَتَشْهَدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ.

ثُمَّ قَالَ لَهُمَا: إِنَّ وَرَائِي رَجُلًا إِنْ اتَّبَعْتُمَا لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِهِ، وَسَأَرْسِلُهُ إِلَيْكُمَا الْآنَ، سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ، ثُمَّ أَخَذَ حَرْبَتَهُ وَأَنْصَرَفَ إِلَى سَعْدِ وَقَوْمِهِ وَهُمْ جُلُوسٌ فِي نَادِيهِمْ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ مُقْبِلًا، قَالَ:

## أَحْلَفُ بِاللَّهِ لَقَدْ جَاءَكُمْ أَسِيدٌ بَغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ

وصدق سعد... فالإسلام نور لا يجهله أحد قَالَ لَهُ سَعْدٌ: مَا فَعَلْتَ؟  
قَالَ: كَلَّمْتُ الرَّجُلَيْنِ، فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ بِهِمَا بَأْسًا، وَقَدْ نَهَيْتُهُمَا، فَقَالَا:  
نَفْعُلُ مَا أَحْبَبْنَا.

وكان أسيد بن حضير الله قد أراد أن يأخذ بيد سعد بن معاذ إلى مصعب  
بن عمير ليستمع بنفسه، ولم يرد أن يتأخر ذلك، حتى أنه لم يصرح له  
بإسلامه.

ثم كان من ذكاء سيدنا أسيد أنه كان يعرف في سعد حميته لقومه  
وغيرته عليهم فوظَّفَ ذلك توظيفًا نكيا. وواصل حديثه بوضع سيناريو  
من خياله لما يمكن أن يصنعه بقية أهل يثرب مثل بنو حارثة بأسعد  
بن زرارة فقال أسيد: وَقَدْ حَدَّثْتُ أَنَّ بَنِي حَارِثَةَ قَدْ خَرَجُوا إِلَى أَسْعَدَ بْنِ  
زُرَّارَةَ لِيَقْتُلُوهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَدْ عَرَفُوا أَنَّهُ ابْنُ خَالَتِكَ، لِيُخْفِرُوكَ ( . يقللوا من  
شأنك ) . قَالَ: فَقَامَ سَعْدٌ مُغْضَبًا وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَرَاكَ أَغْنَيْتَ شَيْئًا، ثُمَّ  
خَرَجَ إِلَيْهِمَا.

وهذا ما أراده أسيد بذكائه، فَوَقَّفَ عَلَيْهِمَا وَقَالَ لِأَسْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ: يَا أَبَا  
أَمَامَةَ، أَمَا وَاللَّهِ، لَوْلَا مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنَ الْقَرَابَةِ مَا رُمْتُ هَذَا مِنِّي،  
أَتَعَشَانَا فِي دَارِينَا بِمَا نَكْرَهُ فَقَالَ لَهُ مُضْعَبٌ: أَوْ تَقْعُدُ فَتَسْمَعَ، فَإِنْ رَضِيتَ

أَمْرًا وَرَغِبَتْ فِيهِ قَبْلَتَهُ، وَإِنْ كَرِهْتَهُ عَزَلْنَا عَنْكَ مَا تَكْرَهُ؟ قَالَ سَعْدٌ:  
أَنْصَفْتُ.

وتكرر نفس السيناريو الذي حدث مع أسيد وعرفوا في وجه الإسلام  
قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمُوا، لِإِشْرَاقِهِ وَتَسَهُّلِهِ، فَأَسْلَمَ سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ يَوْمَهَا وَأَقْبَلَ عَائِدًا  
إِلَى نَادِي قَوْمِهِ، فَقَالُوا: نَخَلِفُ بِاللَّهِ لَقَدْ رَجَعَ إِلَيْكُمْ سَعْدٌ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي  
ذَهَبَ بِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِمْ قَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، كَيْفَ  
تَعْلَمُونَ أَمْرِي فِيكُمْ؟ قَالُوا: سَيِّدُنَا وَأَفْضَلُنَا رَأْيًا، وَأَيْمُنُنَا نَقِيبَةً، قَالَ: فَإِنَّ  
كَلَامَ رِجَالِكُمْ وَنِسَائِكُمْ عَلَيَّ حَرَامٌ حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ. يقول الراوي:

**فَوَاللَّهِ مَا أَمْسَى فِي دَارِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ رَجُلٌ وَلَا امْرَأَةٌ إِلَّا  
مُسْلِمًا وَمُسْلِمَةً**

فكان سعد أعظم رجل بركة على قومه. ومشى سعد بن معاذ وأسيد بن  
الْحَضِيرِ يَكْسِرَانِ أَصْنَامِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ.

إن في قصة إسلام سعد بن معاذ، ومن قبله سيدنا أسيد بن حضير  
يكاد الإنسان يعجب عجا بعبدا من سرعة النقلة عندهما ما بين الباطل  
والحق ... ففي دقائق معدودات.. يتحول المرء بنفسه كلها تحولا  
جديدا إلى الحق.. حين يتبين له أنه الحق وتلك قدرة لا يطيقها إلا أولو  
الفكر النير ممن يحترمون العقل وينحنون للدليل ويتجردون للحق.

## سعد بن معاذ يوم بدر

وتستمر بركة سعد بن معاذ، وتصير مقامات سعد في الإسلام مشهودة وكبيرة، ولو لم يكن له من موقف عظيم إلا يوم بدر لكفاه فخرا. فإن النبي ﷺ لما سار إلى بدر وأتاه خبر خروج قريش للحرب أراد أن يستوثق من أصحابه ويطمئن إلى حرصهم على الدفاع عن الدين الوليد، فاستشار الناس، فقال المقداد فأحسن، وكذلك أبو بكر وعمر، وهم جميعا من المهاجرين. فكان الرسول ﷺ يسمع ويعاود القول: "أشيروا عليّ أيها الناس"، وكان يقصد بذلك الأنصار فإنهم وعدوه في بيعة العقبة الثانية أن يحموه وهو بين أظهرهم بالمدينة، فأراد أن يستوثق من حمايتهم له وللدعوة خارج المدينة أيضا، فقام سعد بن معاذ سيد الأوس، فقال: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ فيقول ﷺ: "أجل" .. فقال سعد:

يا رسول الله، لقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا، على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق، لو استعزمت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجلٌ



وَاحِدٌ، وَمَا نَكَرَهُ أَنْ تَلْقَىٰ بِنَا عَدُوَّنَا عَدَاً، إِنَّا لَصَبْرٌ فِي الْحَرْبِ، صَدُقَ فِي

الَلِقَاءِ. لَعَلَّ اللَّهَ يُرِيكَ مِنَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُكَ، فَسِرْ بِنَا عَلَىٰ بَرَكََةِ اللَّهِ.

فَسَّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِ سَعْدٍ، ثُمَّ قَالَ: سِيرُوا وَأَبَشِرُوا،  
فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ (القافلة أو النصر في القتال)  
كما قال تعالى ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ  
أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ  
دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾﴾، وَاللَّهُ لَكَائِي الْآنَ أَنْظِرُ إِلَىٰ مَصَارِعِ الْقَوْمِ.



سلطان

## سعد بن معاذ في حادثة الإفك

وموقف سعد بن معاذ في حادثة الإفك صورة رائعة للمروءة والشهامة والرجولة، ذلك أنه لما خاض المنافقون في شرف السيدة عائشة، وتأخر نزول الوحي في براءتها، واستشار النبي أهل بيته فكلهم قال عنها خيرا، فرج صلى الله عليه وسلم وصعد المنبر فقال: «يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، مَنْ يَعْذِرُنِي (ينصرنني) مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي عَنْهُ أَذَاهُ فِي أَهْلِي (يقصد عبد الله بن أبي بن سلول الذي أشاع هذه الافتراء على السيدة عائشة)، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْذِرُكَ (أي أنصرك)، فَإِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ صَرَبْتُ عَنْقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ، قَالَتْ (عائشة): وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا، وَلَكِنْ احْتَمَلْتُهُ الْحَمِيَّةَ لِقَوْمِهِ، فَقَالَ لِسَعْدٍ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَا تَقْتُلُهُ، وَلَا تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ، وَلَوْ كَانَ مِنْ رَهْطِكَ (أي قبيلتك) مَا أَحْبَبْتِ أَنْ يُقْتَلَ. فَقَامَ أَسِيدُ بْنُ حُضَيْرٍ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَنَقْتُلَنَّه، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ، قَالَتْ: فَتَارَ الْحَيَّانِ الْأَوْسُ، وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَقْتُلُوا، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَقِّضُهُمْ، حَتَّى سَكَنُوا وَسَكَتَ. رواه الشيخان. وهو موقف جديد لابني العم العظيمين: سعد بن معاذ وأسيد بن حضير في الدفاع عن شرف رسول الله ﷺ.

## سعد بن معاذ في غزوة الخندق

زحفت الأحزاب متمثلة في قريش ومعهم قبيلة غطفان وغيرها من القبائل المتحالفة مع قريش نحو المدينة تريد استئصال الإسلام فكانوا كما وصفهم القرآن في سورة الأحزاب: ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَ ﴾

﴿ ١٠ ﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿ ١١ ﴾ ﴿

فأراد الرسول ﷺ أن يكسر شوكة الأحزاب ويفتت تحالفهم فبعث إلى قبيلة غطفان - وهي إحدى القبائل التي حاصرت المدينة يوم الأحزاب - يعرض عليهم أن يرجعوا ولهم نصف ثمار المدينة، وبعث ﷺ إلى سعد بن معاذ وسعد بن عباد سيدا الأوس والخزرج يستشيرهما.. فقالا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْرًا تَحِبُّهُ فَنَصْنَعُهُ، أَمْ شَيْئًا أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ لَا بُدَّ لَنَا مِنَ الْعَمَلِ بِهِ، أَمْ شَيْئًا تَصْنَعُهُ لَنَا؟ قَالَ: بَلْ شَيْءٌ أَصْنَعُهُ لَكُمْ، وَاللَّهِ مَا أَصْنَعُ ذَلِكَ إِلَّا لِأَنِّي رَأَيْتُ الْعَرَبَ قَدْ رَمَتْكُمْ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، وَتَكَالَبُوا عَلَيْكُمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَكْسِرَ عَنْكُمْ مِنْ شَوْكَتِهِمْ ؛ فَقَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ كُنَّا نَحْنُ وَهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى الشَّرِكِ بِاللَّهِ، وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ لَا نَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا نَعْرِفُهُ، وَهُمْ لَا يَطْمَعُونَ أَنْ يَأْكُلُوا مِنْهَا تَمْرَةً إِلَّا قَرَى (ضيافة) أَوْ بَيْعًا، أَفَحِينَ أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، وَهَدَانَا لَهُ، وَأَعَزَّنَا بِكَ وَبِهِ نُعْطِيهِمْ أَمْوَالَنَا؟ وَاللَّهِ مَا لَنَا بِهِذَا مِنْ حَاجَةٍ، وَاللَّهِ لَا نُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ

بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَأَنْتَ وَذَلِكَ. ثم تناول سعد بن معاذ الصحيفة التي كتب فيها الاتفاق المبدئي فما فيها وقال: ليجهدوا علينا.

والعبارة المحكمة التي ذكرها سيدنا سعد في سؤاله لرسول الله حين قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْرًا تُحِبُّهُ فَتَصْنَعُهُ، أَمْ شَيْئًا أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ لَا يُدُّ لَنَا مِنَ الْعَمَلِ بِهِ، أَمْ شَيْئًا تَصْنَعُهُ لَنَا؟ هذه العبارة بنيت عليها بعد ذلك أحكام فقهية مفصلة حاول فيها العلماء التفرقة بين كلام الرسول الذي يعتبر جزءا من التشريع فيجب اتباعه، وكلامه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي يعتبر جزء من بشريته القابلة للنقاش.

على سبيل المثال قسم القاضي عياض مثلا التصرفات النبوية في كتابه "الشفاء بتعريف حقوق المصطفى" إلى نوعين: تصرفات في أمور دينية، وأخرى في أمور دنيوية. والحق أن أول من أوجد هذا التمييز بين ما هو ديني وما هو دنيوي من تصرفات الرسول هو الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه الذي صرح في الحديث الشريف: **إِنْ كَانَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ فَشَأْنُكُمْ بِهِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَمْرِ دِينِكُمْ فَإِلَيَّ.** سنن ابن ماجه، وصححه الألباني.



## إصابة سعد في غزوة الخندق

تحكى السيدة عائشة قصة إصابة سيدنا سعد، حيث كانت هي التي توقعت إصابته وتوقعت مكانها. تقول عائشة: خرجت يوم الخندق أقفو الناس فسمعتُ كأن الأرض تهتز ورأيتُ فإذا أنا بسعدِ بنِ معاذٍ وعليه درعٌ من حديدٍ قد خرجتُ منها أطرافُهُ وكانَ سعدٌ من أعظمِ الناسِ وأطولِهِم، تقول عائشة: فتخوّفتُ على أطرافِ سعدٍ، لأنها غير مؤمنة بالدرع الذى عليه، وكانت معي أمه، فقلت: "يا أم سعد وددت لو أن درع سعد أكبر مما هي".

غير أن أم سعد كانت مشغولة بشيء آخر عجيب، فلم تنتبه إلى نصيحة عائشة بل قالت لابنها:

**” إحق يا بني.. قد تأخرت عن رسول الله!! ”**

ولم تنتبه أمه لكلام عائشة عن يد سعد غير المحمية.

فرمى رجلٌ من قريشٍ يقالُ له ابنُ العرقةِ سعدًا بسهم فأصابَ شريانَ يده فقطعهُ في المكان الذي خافت عليه السيدة عائشة رضي الله عنها، فانفتحت يد سعد ونزف الدم، فدعا سعد ربه فقال:

**اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني فإنه لا قوم أحب إلي أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه**

وأُخرجوه وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لي

## شهادة

**اللَّهُمَّ لَا تُخْرِجْ نَفْسِي حَتَّى تُقِرَّ عَيْنِي مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ،**

فَأَسْتَمْسَكَ الْجِرْحَ، فَمَا قَطَرَ قَطْرَةً حَتَّى نُفِذَ حُكْمَ سَعْدٍ عَلَى بَنِي قُرَيْظَةَ  
كما سنرى.

وأمر الرسول ﷺ بِقُبَّةٍ فُضِرَتْ عَلَى سَعْدٍ فِي الْمَسْجِدِ وَظَلَّ  
سعد في هذه الخيمة تعالجه صحابية تسمى رفيدة الأسلمية، وكانت  
متخصصة في علاج الجرحى، وكان ﷺ يمر به كل يوم  
يقول: كيف أصبحت وكيف أمسيت؟ فيخبره.

حتى إذا كانت الليلة التي مات فيها - وهي الليلة التي سيحكم فيها  
سعد حكمه على بني قريظة - حمله بنو عبد الأشهل وهم عشيرة سعد  
إلى ديارهم، فقد شفى جرح سعد ولم يبق إلا شيء يسير من هذا الجرح،  
وقد طلب النبي سعدا خصيصا وفوضه في الحكم على بني قريظة.  
فذهب سعد ليعطى حكمه وهو سليم معافى.



## خيانة بنو قريظة

كانت بنو قريظة قد عاهدت رسول الله ألا تتحالف ضده مع أحد، فلما جاء الأحزاب وحاصروا المدينة نقضوا عهدهم وتحالفوا مع المشركين وخانوا المسلمين في أخرج الأوقات، وهو ما يسمى في العرف الحديث بالخيانة العظمى وقت الحرب، فزاد الكرب على المسلمين، كما قال تعالى: ﴿ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ ﴾، حتى جاء الصحابة فقالوا يا رسول الله، هل من شيء نقوله، فقد بلغت القلوب الحناجر، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قولوا:

**اللهم استر عوراتنا، وأمن روعاتنا. رواه أحمد**

ولولا ما بعثه الله من ريح قلبت قدور المشركين ولم تجعل لهم قرارا كما قال تعالى في سورة الأحزاب: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ ﴾، فلولا ذلك لوقعت بالمسلمين مقتلة عظيمة.



## حكم سعد بن معاذ في بني قريظة

قالت عائشة: ف جاء جبريلُ وإنَّ على ثناياهُ لنقعُ العُبارِ فقالَ لرسولِ الله أوقدُ وضعتَ السِّلاحَ؟ واللهِ ما وضعتُ الملائكةُ السِّلاحَ بَعْدُ. اخرجُ إلى بني قريظة فقاتلَهُمْ. فلبسَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ درعه وأذَّنَ في النَّاسِ:

### لا يُصَلِّينَ أَحَدُ العَصْرِ إِلَّا في بني قريظة صحیح البخاري

فأدركَ بَعْضُهُم العَصْرَ في الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لا نُصَلِّي حَتَّى تَأْتِيَهَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي، فإنما أراد فقط أن يجعلنا نسرع في الذهاب، فَذَكَرَ ذلكَ للنبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَلَمْ يُعَنِّفْ واحِدًا منهم. فقد كان الهدف من أمر النبي للمسلمين جميعا هو سرعة التوجه لديار بني قريظة من أجل تأديبهم على ما صنعوا من غدر.

### ملحوظة خارج السياق:

عبارة : لا يُصَلِّينَ أَحَدُ العَصْرِ إِلَّا في بني قريظة انقسم العلماء بسببها عند استنباط الأحكام من النصوص لاسيما في الأمور المستحدثة إلى فريقين : فريق يهتم باللفظ فينظر للنص ويقول "ماذا قال؟"، وفريق ثاني يهتم بالمعنى فينظر للنص ويقول "ماذا أراد؟". وإن كان في رأيي أن أفضل ما قيل في هذا الخلاف هو القاعدة الأصولية التي تقول: الأصل في العبادات التعبد دون الالتفات إلى المعاني (بمعنى أننا في أمور



العبادات تطبق النص حرفياً)، أما في الأمور التي تدخل في حياة الناس ومعاشهم فالأصل فيها هو النظر إلى الأسرار والحكم والمقاصد (بمعنى نبحت عن مراده من هذا القول).

ثم حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى قريظة خمسًا وعشرين ليلةً فلما اشتد عليهم البلاء، بعثوا لرسول الله فقالوا ننزل على حكم سعد بن معاذ، وكانوا حلفاءه في الجاهلية فظنوا أنه سيرفق بهم، ويقترح جلاءهم عن البلاد كما حدث مع بني النضير من قبل وهم حلفاء الخزرج وقد تشفع فيهم رئيس الخزرج وقتها عبد الله ابن أبي بن سلول، فظن يهود بنى قريظة أن سعد بن معاذ سيرفق بهم فطلبوا أن يكون هو الحكم.

فأتى بسعد على حمارٍ وحفَّ به قومه وهم يقولون: يا أبا عمرو حلفاؤك ومواليك ومن قد علمت فارفق بهم، وسعد لا يلتفت إليهم، حتى إذا دنا من دورهم التفت إلى قومه فقال:

**قد آن لي أن لا أبالي في الله لومة لائم .**

إن فعلة اليهود لم تكن فعلة يسيرة، إنها الخيانة العظمى وقت الحرب، وتعرض المسلمين إلى خطر محقق مع نقض العهود والمواثيق. فلما دنا موكب سعد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للحضور:

**توموا إلى سيديكم**

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لسعد: إِنَّ هَؤُلَاءِ نَزَّلُوا عَلَيَّ حُكْمِكَ، فقال سعد لقومه: حكمتي ملزم لكم؟ قالوا: نعم، قال سعد: وعلى من هاهنا؟ بمعنى هل سيكون حكمتي ملزما لرسول الله أيضا؟ لكن من تأدبه رفض أن يصرح باسم رسول الله إجلالا له.. فقال رسول الله: " نعم " . أي أن حكمتي ملزم للجميع لا يعقب عليه أحد ولن يناقشه أحد. فقال سعد:

**فَإِنِّي أَحْكَمُ أَنْ تُقْتَلَ الْمُقَاتِلَةُ، وَأَنْ تُسَبَى الذُّرِّيَّةُ.**

فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ الْمَلِكِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ. رَوَاهُ الشَّيْخَانُ.

ثُمَّ دَعَا سَعْدًا فَقَالَ:

**اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ أَبْقَيْتَ عَلَى نَبِيِّكَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْئًا  
فَأَبْقِنِي لَهَا وَإِنْ كُنْتَ قَطَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ فَأَقْبِضْنِي  
إِلَيْكَ**

فانفجر جرحه الذي كان قد أوشك على الشفاء ، فرجع سعد إلى الخيمة بالمسجد.



الآن، أوشكت الحكاية على النهاية، فعند هذا الحد كانت أركان دعوة سعد التي دعا بها قد اجتمعت... فلم يبق من حرب قريش شيء فغزوة الأحزاب هي آخر الحروب مع قريش، ولقد نفذ حكم سعد في بني قريظة، وقرت عينه بما رأي فيمن خانوا الله ورسوله.... وبقيت الشهادة التي طلبها من ربه بأن يكتب له جرحه يوم الخندق شهادة وقد كان...

### **فالجرح الذي ما قطر قطرة منذ دعا سعد ربه بهذه الدعوة.. انفجر الآن،**

فاحتضنه رسول الله، فجعلت الدماء تسيل على رسول الله، وجاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه وهو مَنْ هو في الثبات عند الشدائد فقال:

### **وانكسار ظهره على سعد**

ومكث سعد بن معاذ بعد ذلك ساعات ظن فيها الرسول ﷺ أنه ربما بدأ في التعافي فرجع إلى بيته... فجاءه جبريل معهما بعمامة من إستبرق، فقال:

**يا نبي الله، من هذا الذي فتحت له أبواب السماء واهتز  
لموته عرش الرحمن؟**

قال **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: لا أعلم لكني تركت سعد بن معاذ ينزف. فخرج رسول الله مسرعاً يجر ثوبه وخرج الصحابة معه، وأسرعوا حتى تقطعت نعالهم فتعجبوا من سرعة الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فقال:

**إني أخاف أن تسبقنا إليه الملائكة فتغسله كما غسلت**

### **حنظلة**

والرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقصد بهذه العبارة حنظلة بن أبي عامر رضي الله عنه وهو أحد شهداء غزوة أحد، وكان قد تزوج من جميلة بنت عبد الله بن أبيّ ابن سلول، وكان زواجه منها في الليلة التي صبيحتها غزوة أحد، واستأذن حنظلة النبي صلى الله عليه وسلم بالمبيت عندها، فأذن له بذلك، وعندما سمع المنادي ينادي للجهاد خرج دون أن يغتسل من الجنابة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

**إِنَّ صَاحِبَكُمْ غَسَلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ. صحيح ابن حبان**

وتصف السيدة عائشة ذلك اليوم فتقول: حضر رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وأبو بكر وعمر إلى الحجرة التي مات بها سعد فدخل رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عليه حجرته وقال **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: والله ما وجدت مكاناً في الحجرة من تراحم الملائكة عليه حتى رفع لي ملك جناحه فدخلت... ونظر رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لسعد فقال:

”جزاك الله خيرا سيد القوم، فقد أنجزت الله ما وعدته،

ولينجزك الله ما وعدهك ”

تقول عائشة: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، إِنِّي لَأَعْرِفُ بُكَاءَ أَبِي بَكْرٍ مِنْ بُكَاءِ عُمَرَ وَأَنَا فِي حُجْرَتِي ، وَكَانُوا كَمَا ، قَالَ اللَّهُ : ﴿ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ .

صحيح ابن حبان

وخرجت جنازة سعد ونزل فيها " سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ " رواه النسائي وصححه الألباني، ورغم أن سعد كان رجلا ضخما عظيما إلا أن نعشه كان خفيفا وصرح بذلك المنافقون فقالوا: مَا أَخَفَّ جَنَازَتَهُ!!، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ كَانَتْ تَحْمِلُهُ. رواه الترمذي وصححه الألباني. وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « اهْتَزَّتْ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ. » (البخاري ومسلم).

قال الإمام النووي (رحمه الله): معنى (اهتَزَّتْ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ) أَي تَحَرَّكَ فَرَحًا بِقُدُومِ رُوحِ سَعْدٍ.

ومخلوقات الله بصفة عامة تتأثر وتتفاعل ولكن لا ندرك نحن تصرفاتها ﴿ تَسْبِحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ ﴿٤٤﴾ وكما ذكر سبحانه وتعالى عن الحجارة ﴿ وَإِنْ مِنْهَا لَمَّا يَغْطِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ ﴿٧٤﴾ .

وحفر لسعد قبره بالبقيع وكان يفوح المسك عليهم، ووضع سعد في قبره،  
ورسول الله ﷺ قائم على القبر فقال: عجبت لهذا العبد  
الصالح، الذي اهتز لموته عرش الرحمن وفتحت له أبواب السماء،  
صُغِطَ عليه بشدة في قبره ثم فَرَّجَ اللهُ عنه، وعن ذلك يقول ﷺ:  
إِنَّ لِلْقَبْرِ ضَغْطَةً، لَوْ كَانَ أَحَدٌ نَاجِيًا مِنْهَا لَنَجَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ". **حديث صحيح**

يقول الإمام الذهبي: وهذه الضغطة ليست من عذاب القبر في شيء  
بل هو أمر يجده المؤمن كما يجد ألم فقد حبيبه في الدنيا وكما يجد  
من ألم المرض وألم الموقف وهول الحساب، ونحو ذلك.. فهذه كلها  
تتال من العبد وما هي من عذاب القبر ولا عذاب من عذاب جهنم  
ولكن العبد التقى يرفق الله به في بعض ذلك، ولا راحة للمؤمن دون  
لقاء ربه.

ولما انصرف رسول الله ﷺ جعلت دموعه ﷺ تحادر على لحيته،  
وسمع أم سعد تبكي وتندبه، فقال ﷺ:

**” كل نادبة كاذبة إلا أم سعد ”**

والنساء عادة يودعون الميت ويندبونه (يعددون فضائل ليست له)  
والناس تعلم ذلك، إلا أم سعد، فمهما عدت من فضائله فإنها لا تكون  
كاذبة، فسعد كله فضائل، وهذا معنى قوله ﷺ كل نادبة كاذبة

إلا أم سعد. ثم التفت إليها وقال: " يا أم سعد إن ابنك أول من ضحك  
الله له " **والحديث رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.**

وكان الرسول قد دعا لسعد قبل وفاته فقال:

**” اللهم إن سعدا قد جاهد في سبيلك وصدق رسولك، وقضى  
الذي عليه فتقبل روحه بخير ما تقبلت به روحا”**

ففتح سعد عينه ثم قال:

**السلام عليك يا رسول الله، إني أشهد أنك لرسول الله**

فكانت هذه هي آخر كلماته.

ثم مات رضي الله عنه، وذلك في السنة الخامسة من الهجرة، وعمره  
37 سنة.



لطاب

## سعد بعد وفاته

وظل اسم سعد بن معاذ حاضرا لا يغيب عن رسول الله ﷺ حتى أنه أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم جبة سُدُسٍ (حَرِيرٍ)، فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْهَا، فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَمَتَادِيلُ (جَمْعُ مَنَدِيلٍ) سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا. رواه البخاري.

ومثل سعد لا ينسى فضله ولا يخمل ذكره رضى الله عنه. واستمر اسم سعد بن معاذ لا ينساه أحد، فهذا عمر بن الخطاب بعد سنين طويلة من وفاة سعد يأمر بتدوين الدواوين فيرتب الناس حسب القرابة من رسول الله فلما وصلوا إلى الأنصار سأله كيف نرتبهم؟ قال: ابدأوا برهط سعد بن معاذ ثم الأقرب فالأقرب من سعد بن معاذ.

### وفى الختام،

يقول سعد بن معاذ عن نفسه: ثَلَاثٌ أَنَا فِيهِنَّ رَجُلٌ (يَعْنِي أَنَا فِيهِنَّ رَجُلٌ مَمِيزٌ) وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَأَنَا رَجُلٌ مِنَ النَّاسِ: مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثًا قَطُّ إِلَّا عَلِمْتُ أَنَّهُ حَقٌّ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَا كُنْتُ فِي صَلَاةٍ قَطُّ فَشَعَلْتُ نَفْسِي بِشَيْءٍ غَيْرِهَا حَتَّى أَقْضِيهَا، وَلَا كُنْتُ فِي جَنَازَةٍ قَطُّ فَحَدَّثْتُ نَفْسِي بِغَيْرِ مَا تَقُولُ، وَيُقَالُ لَهَا، حَتَّى أَنْصَرِفَ عَنْهَا. قال سعيد بن المسيب وهو من سادة التابعين:

**هذه الخصال ما كنت أحسبها إلا في نبي.**



## كلمة أخيرة (قيمة الحياة)

مات سيدنا سعد وعمره 37 سنة ، وبعد إصابته لم يدع الله أن يطيل في عمره إلا فقط إذا كان لا يزال هناك حرب قادمة مع قريش. أليس غريبا ألا يتمنى الإنسان أن يشفى ويطول عمره؟ كيف كان ينظر هؤلاء الناس لمعنى الحياة في هذه الدنيا؟

إن المتأمل في آيات القرآن التي تتحدث عن الحياة يجدها لا تخرج عن الحديث عن جانبين متباعيين ومتناقضين لهذه الحياة:  
فالجانب الأول أن هذه الحياة دار للفتن والشهوات والمتع الزائلة وهى قصيرة حقيرة فانية :

- وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ
- وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ
- فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ
- يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ . وغير ذلك من الآيات.

ولو طبق الإنسان هذا الجانب فقط من معاني الحياة لما حرك ساكنا ولجلس في صومعة ينتظر الموت القريب مبتعدا عن دار الفتن .

ومثل هذه الآيات لا ينبغي أن تفهم بمعزل عن الآيات الواردة في القرآن عند التعريف بالجانب الاخر من الحياة الإنسانية.

أما الجانب الثانى في آيات القرآن فتحدث عن الاستمتاع بمباهج الحياة فى الحلال، والتأكيد على أن الحياة لها قداستها ولها حرمة بالغة يجب المحافظة عليها:

- قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ
- ولا تنس نصيبك من الدنيا "
- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ
- الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
- مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً

والحق أن التكامل بين هذين الجانبين المتناقضين هو المدخل لمعرفة جوهر هذه الحياة ، وقد تربي الجيل الأول من المسلمين على التوازن فى فهم قيمة هذه الحياة ، فلا يكاد المسلم يسرف ويطغى فى تحصيل المتع من الجانب الأول حتى يذكره الجانب الثانى بقيمة هذه الدنيا

مقارنة بالآخرة ، وإذا أسرف في الزهد جاء الجانب الثاني ليضبط له الميزان.

لقد كان لدى المسلمين الأوائل فهما متكاملًا للحياة فعملوا متى يظنون بها ويحرصون عليها وعلموا أيضا متى يضحون بها، ومن هنا نشأ مفهوم الاستشهاد والموت في سبيل الله فالإنسان ربما يضحى بكل رأس ماله إذا كانت الصفقة مضمونة، ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾ فالحياة الغالية على كل نفس صارت قيمتها وأهميتها واضحة في عقل وقلب كل مسلم، وصار يعرف متى يحرص عليها ومتى يضحى بها.

وأبرز مثال على الفهم العميق لقيمة الحياة ما حدث مع الخنساء في الجاهلية والإسلام ، ففي الجاهلية أقامت أكبر مندبة في تاريخ الإنسانية على أخيها صخر:

وَإِنَّ صَخْرًا إِذَا نَشْتُو لَنَحَارُ  
وَإِنَّ صَخْرًا إِذَا جَاعُوا لَعْقَارُ  
كَأَنَّهُ عَلَّمَ فِي رَأْسِهِ نَارُ

وَإِنَّ صَخْرًا لَوَالِينَا وَسَيِّدِنَا  
وَإِنَّ صَخْرًا لَمِقْدَامٍ إِذَا رَكِبُوا  
وَإِنَّ صَخْرًا لَتَاتَمَّ الْهُدَاةُ بِهِ

أما فى الإسلام فقد ودعت أبناءها الأربعة يوم القادسية قائلة " يابنى والله الذى لا إله إلا هو، إنكم لبنو أب واحد " وقد تعلمون ما أعد الله للمجاهدين فامضوا مستبصرين " ، فلما علمت باستشهادهم ما زادت أن قالت: الحمد لله الذى شرفنى باستشهادهم. فقد فهمت أخيرا قيمة الحياة ومتى يكون فقدها مكسبا.

وقد كنت أعجب لماذا اختار عمر بن الخطاب ذلك الصحابي الألمعي حادثة الهجرة دون غيرها من أيام الإسلام الخالدة ليؤرخ بها تاريخ الإسلام، فرأيت أن الصحابة فى حادثة الهجرة كانت الدنيا ومباهجها فى كفة ونصرة الدين والمحافظة عليه فى كفة ، فكان نجاحهم فى هذا الاختبار دليل على أنهم بدأوا مرحلة الفهم الصحيح لقيمة الحياة، وأصبحوا مؤهلين لحمل مشعل الحضارة، واستحقت هذه الحادثة أن تكون البداية لتاريخ الحضارة الإسلامية.

ولكن كيف للإنسان أن يجمع بين النقيضين فى نفسه : كيف له أن يؤمن أن الدنيا فانية ومتعتها زائلة ، وفى نفس الوقت عليه أن يعمل فيها ويعمرها؟

إن مفتاح النجاح فى ذلك أن تكون الدنيا فى يد الإنسان وليس فى قلبه فعندها يمكنه أن يحقق النقيضين. ولقد أبصر القوم معنى وقيمة الحياة

فاستثمروها على أفضل وجه ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾

إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

لكن حين تختل الموازين في فهم قيمة الحياة ويطغى حب الدنيا وكراهية الموت حينئذ تصاب الأمة بالوهن وتتداعى عليها الأمم كما قال صلى الله عليه وسلم.

إن جرثومة الحضارات هي حب الدنيا وكراهية الموت وهذا لا يأتي إلا إذا حدث خلل في فهم معنى وقيمة الحياة.

## هذه الكتيبات

هذه المحاولة في تلخيص تاريخ الشخصيات المميزة عبر تاريخنا الإسلامي أخذت منى سنين طويلة حتى أصل إلى هذه النتيجة.

ومن وجهة نظرى تتميز هذه الكتيبات بما يلى:

- 1- جميع الأحاديث النبوية الواردة فى الكتيبات تم تخريجها للتأكد من صحتها. مع تجنب ذكر أي رواية غير موثقة.
- 2- التركيز فقط على الجوانب الإيمانية والخلقية في الشخصية.
- 3- التعليقات فى الحدود الدنيا، منعا للتطويل لكنى أضفت كلمة أخيرة في نهاية معظم الشخصيات للحديث عن أبرز سمة.
- 4- اللغة السهلة في الكتابة لتتناسب عموم الناس.
- 5- الحجم الصغير بحيث لا يستغرق قراءته أكثر من 20 دقيقة.

في النهاية **أؤكد على أنى لست عالم دين، ولكنى مسلم عادى يحاول خدمة دينه** بعرض هذه النماذج من تاريخنا بالصورة اللائقة دون تزويق أو تزوير، بهدف الاقتداء المستتير بهذه الشخصيات.

جميع الكتيبات تجدها في موقعى [www.drgilany.com](http://www.drgilany.com)

هذه الكتيبات وقف لله تعالى على روح والدتى رحمها الله.